الفصل السابع:

الجهاد والتسامح والإرهاب في رأي كولن

الجهاد والتسامح والإرهاب في رأي كولن

يغـذي الإعلام يوميًّا فـي صفحاته الأولى وبرامجه الإخبارية التحامل على الإسـلام لدى الناس خاصة في الغرب، فأصبح الجهاد عند بعضهم هو العنف والإرهاب؛ ثم يأتي كولن ليؤكد أنّ الجهاد «أمر إلهيّ»، وفصَّل في أمرين أساسيين في الجهاد:

> ''إن الجهـاد في سـبيل الله يجري في جبهتيـن اثنتين: الأولى موجهـة إلـى الداخل، والأخرى موجهة إلى الخـارج. ويمكننا أن نعرّف كلًّا من الجهادين بالآتي: إن بذل الجهد إلى الداخل عبارة عن عملية محاولة الإنسان أن يصل إلى ذاته وإلى ربّه، أما الجهاد الآخر الموجه إلى الخارج فهو عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلـى ربّهـم، ويطلـق علـى الأول «الجهـاد الأكبر» وعلـى الثاني «الجهاد الأصغر»، حيث إن الإنسان بالأول يبلـغ معرفة نفسه بعد اجتيـازه العقبات بينه وبين نفسـه حتى يبلـغ معرفـة الله ومحبة الله والذوق الروحاني، أما بالثاني فتتحقق بإزالة الموانـع بين الإنسـان والإيمان بالله سواء بالنضال أو القتال، لإيصاله إلى الله تعالى ومن ثم التعرّف عليه والعروج في معرفته''[١٤٣].

(١٤٣) فتح الله كولن: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص ٢١.

وينتقد كولن اختزال الجهاد بالقوة المادية فقط، ويقرّر أنّ الجهاد هو بذل الجهد لبلوغ مرتبة «الإنسان الكامل»، فهو يشمل كل أنواع المجاهدة في سبيل الله من أجل خير الإنسانية، فالجهاد ليس هو الضرب بالسيف فحسب:

> "الجهاد الأصغر ليس هو شكل الجهاد الذي يؤدَّى في جبهة القتال فحسب، فهذا النمط من الفهم يقلّص أُفق الجهاد، حيث إن مَيدان الجهاد واسع جدًّا يمتد من الشرق إلى الغرب، وعلى سعته وشموله قد يكون كلمة واحدة أو سكوتًا وصمتًا أو تبسّمًا وطلاقة وجه أو امتعاضًا ونفورا أو تركًا لمجلس أو مشاركة فيه.. وباختصار هو القيام بأي عمل من الأعمال لوجه الله، وتقويم الحب في الله والبغض لله في هذا السبيل... ومن هنا فإن كل جهد يبذل لإصلاح المجتمع في أي ميدان كان من ميادين الحياة ولأي شريحة من شرائح المجتمع. كل ذلك هو من مضمون الجهاد الإسلامي. بمعنى أن ما يُؤَدَّى في ميدان العائلة والأقارب القريبين والبعيدين والجار ذي الجنب والصاحب بالجنب، كل ذلك هو من الجهاد الأصغر. فهي كدوائر متداخلة واسعة سعة الأرض كلها"[١٤٤].

ويشير كولن إلى أن شكل الجهاد يختلف باختلاف الأزمان، فيقول:

> "إن أشكالَ الجهاد تتباينُ وتتنوع وفقا لمختلف العصور والأزمان؛ فكما يكون الجهاد بالنصيحة المحضة أحيانا، يكون بإرشاد شخص ما أحيانا، وبأخذ موقف ضد الكفر أخرى؛ وكثيرا ما يمكن اعتبار القدوة الحسنة والمثال الحسن نوعا من أنواع

(١٤٤) فتح الله كولن: المصدر السابق، ص ٢٦.

الجهـاد، فقد اُعتبرت الهجرة، على سـبيل المثـال، لفترة معينة في عصر السعادة كالجهاد عينه.

...وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ لشاب جاءه فارا كي يشارك في الجهاد: ''أَحَيٌّ وَالِـدَاكَ؟''، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ''فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ!''(١٤٥) أي إن أمره ﷺ إياه أن يقوم على رعاية والديه والاهتمام بهما إشارة إلى أن جهادَه هو رعايتُه والديه(١٤٦).

وكونه جهادًا أصغر إنما هو بالنسبة للجهاد الأكبر، وإلّا فليس فيه جهة صغيرة قطّ(١٤٧).

وهـذا القـول يعبـر عـن وجهيـن مختلفيـن لحقيقـة واحدة، فكلاهما فيه تزكية للبشرية ومحاولة للوصول بها إلى الكيفية التي يبتغيهـا ربنا تبـارك وتعالى، وعلـى ذلك فالجهـاد بنوعيه الأصغر والأكبر يعبر عن وجهين مختلفين لحقيقة واحدة''(١٤٨).

فالجهـاد الحقيقـي فـي نظره هـو أن تصبح إنسـانًا أو مسـلمًا مثاليًّا، والجهـاد وفقًا لأي منظور إسـلامي هـو مجاهدة ذاتية يقـوم بها المكلف طـوال حياتـه للارتقاء في مراتـب التقوى وتقديم الخدمـة لأهله وجيرانه وأبناء وطنه خاصّة وللإنسانية عامّة، ولا وجود للعنف والإرهاب ألبتة في العقيدة والفكر الإسـلامي ولو في مقاومة العنف والعدوان على الأبرياء، ففـي نصوص القرآن مجموعة مبادئ مهمة يتعين على المسـلمين في كل العصور اتّباعها:

(١٤٥) صحيح البخاري، الجهاد ١٣٨، الأدب ٣؛ صحيح مسلم، البر ١.

(١٤٦) فتح الله كُولَن: المنشور-٢، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠٠١م، (لما يترجم عن التركية)، ص ١٤٨-١٤٩.

(١٤٧) فتح الله كولن: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص ٢٧.

(١٤٨) فتح الله كُولَن: سلسلة الأسئلة العصر المحيرة-٣، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠١٠م، (لما يترجم عن التركية)، ص ٢٠٠.

"إن الأصل في الإسلام هو السلم وليس الحرب، وأفضنا في بيان أن الأسباب الموجبة للحرب هي الدفاع، والحدّ من الظلم، وفتح باب حرية الإرشاد والتبليغ"(١٤٩).

وصرّح القرآن الكريم أنَّ قوى الشر التي تحاول القضاء على السلام والوئام بين الشعوب والديانات لن تفنَى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (سُورَةُ الْحَجِّ: ٢٢/٣٩-٤٨).

(١٤٩) فتح الله كولن: روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص ١٦-١٧.

تبين هذه الآيات أنّ الجهادَ لا يقصد منه هلاك أي شيء أو أي شخص على الأرض، بل هو بذل أقصى الجهد لمناصرة الحق أبدًا مهما كانت العقبات أو الصعوبات؛ فالجهاد كغيره من المسائل المذهبية في الإسلام، وله وجهان: مادي ومعنوي، يقول كولن:

> ''إن الجهاد الأصغر في معنى من معانيه جهاد مادي، أما الجهاد الأكبر الذي يشكل الجانب المعنوي من الجهاد فهو جهاد الإنسان لنفسه وعالمه الداخلي، فمتى ما أُوفى حق هذين الجهادين معًا فقد تأسس التوازن المطلوب، وبخلافه، أي إذا ما نقص أحد هذين الجهادين اختلت الموازنة الموجودة في روح الجهاد''(١٥٠).

والموازنة بين الجهاد المادي والمعنوي على مستوى الفرد والأمة والعالم بأسره مسألة في غاية الأهمية والتعقيد، فجوهر الأمر هو التضحية بالمال والوقت والجهد والموهبة في سبيل قضايا أسمى في الحياة، أي في سبيل إعلاء الحق والأخلاق الحميدة والتواضع وحقوق الإنسان، فلا بد أن نضحي بالكثير في سبيل الآخرين لننشر هذه الظاهرة، فالأفراد والدولة والمؤسسات بأنواعها وكل من لديه موارد عليه أن يحذر من الاعتداء على أي حق للآخرين؛ ومشكلة غالب المسلمين أنهم يظنون أنه لم تعد لديهم قدرات وطاقات لينفقوها في سبيل الله، فاعتقدت جماعات صغيرة كثيرة في مناطق مختلفة من العالم بأن عليها أن تبذل أقصى ما لديها وتضع أرواحها على أكفها في سبيل قضاياها؛ لكن البطولة الحقيقية في نظر كولن ليست في الموت بل في الحياة من أجل الآخرين، فالتضحية بالنفس في سبيل خدمة الآخرين ركن أساسي عنده.

(١٥٠) فتح الله كولن: المصدر السابق، ص ٢٦.

ونحن نلحظ -وا أسفاه- أن الهجمات الانتحارية كثيرًا ما تكون خيارًا تكتيكيًا لجماعات من ديانات مختلفة في العالم، لكنّ سلوك الإرهاب الذي يمارسه هؤلاء -كما تقول كارين أرمسترونج- لا يمكن عدُّه سلوكًا يهوديًا أو مسيحيًا أو إسلاميًا:

"صحيح أن المسلمين -مثلهم في ذلك مثل المسيحيين أو اليهود- ابتعدوا كثيرًا عن مُثُلهم العليا، لكنّ هذا لم يكن سببه الدين، فالتفجيرات التي قام بها الجيش الجمهوري الإيرلندي نادرًا -إن كانت قد حدثت أصلًا- لم توصف بأنها إرهاب «كاثوليكي»؛ ليقيننا بأنها لم تكن حملة دينية أساسًا، بل كثير من الحركات الأصولية في أنحاء العالم -على غرار حركة الجمهورية الإيرلندية- هي أشكال جديدة للحركة القومية تتستر بقناع ديني منحرف، وهذا ما نراه في الأصولية الصهيونية في إسرائيل واليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة"(١٥١).

ويبين كولن أنه لا مسوغ في الإسلام لإزهاق الأرواح بغير حق، وتشهد بذلك آيات كثيرة:

"يتناول القرآن الكريم موضوع قتل ولو نفس واحدة على أنه جريمة ترتكب بحق الناس أجمعين؛ فيقول: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥/٣٢). ولا يمكن العثور على هذه الحساسية الإسلامية الخاصة بموضوع «الحق» في أي دين آخر على الإطلاق، بل ولا في أي نظام قانوني حديث أيضا.

(151) *Karen Armstrong, «The label of Catholic terror was never used about the IRA,» The Guardian, July, 11, 2005; http://www.guardian.co.uk/comment/story/0,,1525714,00.html/larticle-continue*

أجل، لقد تصرف الإسلام بحساسية وحذر شديدين في هذه المسألة؛ فجعل قتلَ إنسانٍ واحدٍ يعدل قتل الإنسانية جمعاء.

...وثمة آية أخرى تلفت الأنظار إلى خطورة الموضوع فيقول تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ (سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤/٩٣) وبالنظر في مثل هذا فإنني أريد هنا التركيزَ بوجه خاص على كلمة «خَالِدًا» الواردة في الآية، إذ إنها استخدمت دون إضافة لفظ «أَبَدًا»، واستخدمت في آيات أخرى مضافة إليها، ومع هذا فإن ابن عباس ﷺ وبعض أئمة التابعين يرون -انطلاقا من لفظ «خَالِدًا»- أن مَنْ يقتل مؤمنًا متعمدًا يستحق العذاب الأبدي، مثلُه مثلُ مَنْ يُنكرُ الله تعالى"[١٥٢].

يقول كولن: الإسلام -الذي يعني السلام والعدل في حياتنا الفردية والجماعية، ويقوم حقًّا على أساس الرفق والرحمة- يسعى إلى الإحياء لا إلى القتل، فالهدف الإسلامي لا يمكن تحقيقه إلا بالوسائل والطرق الإسلامية، فما يستخدَم من وسائل وطرق قد تفقد أغراض المرء السياسية وجهها الدينيّ، «لا يمكن الوصول إلى الحق بوسائل باطلة، يجب أن تكون الوسائل المستعملة وسائل حق»[١٥٣]؛ وأعلن كولن شَجْبَه واستنكاره لهجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول الإرهابية، كما ردّ على ربط الإرهاب بالإسلام، وطالب بإدانة من يشوهون الوجه المضيء للإسلام واتخاذ إجراء موحد ضدهم؛ ويذكر كولن بنهي الإسلام عن قتل الإنسان نفسه، خاصة إذا كان هدفه من ذلك إيذاء الآخرين، فيقول:

(١٥٢) فتح الله كُولَن: المنشور-٢، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠٠١م، (لما يترجم عن التركية)، ص ٩٠-٩١.

(١٥٣) فتح الله كولن: الموازين، ص ٢٠٣.

"ليس من الإسلام في شيء أن يقوم انتحاري بتفجير نفسه، فالإسلام لم يُقر قتلَ الأبرياء ألبتة، ولم يُفتَ على مر التاريخ في الإسلام بجواز قتل الأبرياء، ويستحيل أن يُفتى بذلك، ولكن التصرفات الخوارجية والقرمطية لأناس تم خداعهم أو التلاعب بهم بالمخدرات أو بغيرها من الوسائل، أدى إلى تشويه سمعة كثير من الأبرياء وتلويث صورة الإسلام النقية، وأصبح المسلمون النموذجُ في التوكل على الله ورمزُ الأمن والسلام يُتهمُون بأنهم إرهابيون"(١٥٤).

وفي مقابلة أجرتها الصحفية بجريدة زمان «نورية آكمان» قال كولن:

"لا مكان للإرهاب في الإسلام؛ لأنه يساوي ما بين قتل النفس والكفر من حيث الخطورة، فلا يحق لكم أن تقتلوا إنسانا ما، وليس لأحد أن يمس بريئًا ولو في زمن الحرب؛ وليس لأحد أن يفتي بهذا، وليس لأحد كذلك أن يقوم بتفجير انتحاريّ، ولا أن يندفع في جموع الناس بحزامٍ ناسف، هذا لا يجوز شرعًا أيًّا كان دين هؤلاء الناس"(١٥٥).

إذًا، ليس السؤال المطروح: هل يجيز الإسلام أو يحرم التفجيرات الانتحارية أو الأعمال الوحشية ضد خصم أو عدو مجاهر، خاصة من لا يمكن قتاله قتالًا تقليديًّا بأي شكل؟ وإنما القضية الجوهرية هنا هي أن في المسلمين مَن فقدوا روح الرفق والرحمة المفترض أن تعود عليهم وعلى الآخرين بالخير؛ وهذا لم يحدث فجأة بل هي ظاهرة بدأت مبكرًا أكثر مما نتخيل أو نعرّف بها الآخرين، قد تكون بدأت مع الخلافات الدينية

(١٥٤) فتح الله كُولَن: سلسلة الجرة المشروخة-٤، فنار الأمل، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠١٠م، (لما يترجم عن التركية)، ص ١٦١.

(١٥٥) من حوار أجرته الصحفية التركية «نورية آقمان (*Nuriye Akman*)» مع الأستاذ فتح الله كولن، نشر في جريدة «زمان» التركية بين تاريخ ٢٢ آذار/مارس - ١ نيسان/أبريل ٢٠٠٤م.

والعرقية المختلفة، وزادت حدة العنف والإرهاب مع الأفكار القائلة بأنه من الطبيعي جدًّا استعمال القوة للاستيلاء على أموال الآخرين وأوطانهم بلا رقيب قانوني أو أخلاقي، وتجدر الإشارة هنا إلى تحليل ممتاز لِهبلر، يقول:

> "في الحروب والمذابح والعنف السياسي خلال ألف أو ألفي سنة مضت، لا دليل على وجود أي اختلاف بين أنواع العنف في مختلف البلدان أو المناطق أو الجماعات الثقافية، ولم يحدث مطلقًا أن نشأت موجات عنف معًا في كل المناطق على مدار التاريخ، بل وقعت في عصور مختلفة وبأشكال مختلفة؛ فأوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا والمسيحيون والمسلمون والهندوس والبوذيون وغيرهم، كل هؤلاء لديهم خبرة كبيرة بالعنف السياسي في صورة حروب وقتل جماعي وترحيل وقمع، وهناك أسفار كاملة من الكتاب العبري المقدس تصف المآثر العسكرية للملوك العظام وتنقل صراعاتهم بما فيها من تفاصيل دموية، أما العهد الجديد فلم يعلن الحرب فورًا، بل أعلنتها الكنيسة في مرحلة تاريخية لاحقة، فكان للمسيحيين سجل دامٍ في الحملات الصليبية والحروب الدينية، فكل المجتمعات ونظم الحكم شهدت غزوات وطغيانًا وحروبًا، وإن تفاوتت في شكلها وحجمها كثيرًا بحسب السياق السياسي لتفاوت الجوانب الثقافية أو الدينية"[١٥٦].

وطوال عصر الاحتلال والحرب الباردة، مرت العلوم الاجتماعية بأزمة بلبلة واضطراب، بل إن قوى الاحتلال السابقة والأطراف المؤثرة في السياسة الدولية لا تزال تمارس عملية غَسل مخ لشباب العالم الثالث والعالم الإسلامي؛ ويقف العلماء والكتّاب ذوو التوجه الديني غالبًا

(156) Jochen Hippler, War, Repression, Terrorism, Political Violence and Civilization in Western and Muslim Societies, Berlin, 2006, pp. 206–207.

عاجزين عن الإدلاء بدلوهم في العلوم المعاصرة من تاريخ معاصر وعلوم طبيعية وعلم نفس وفلسفة وتكنولوجيا، وتعمقت أزمة دراسة العلوم الاجتماعية والسياسية إثر نشوب الحرب النفسية بين العالم الإسلامي والغرب، وصار لكلا الجانبين غالبًا ردود أفعال تجاه قضايا حيوية تتعلق بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية؛ تقول فريدة أختر في هذا:

> "هندسة العمليات الحياتية وتصنيعها في مجتمع عالمي تسوده الفردية والأنانية يهددنا، فتحقيق الأرباح صار هو المعيار الأخلاقي الوحيد للمجتمع المدني، وانحصرت الثروة والنفوذ بيد شرذمة، وانقسم العالم انقساما حادًّا إلى حكام ومحكومين، وعصريّ ورجعيّ، وأول وثالث، وشمال وجنوب إلخ"(١٥٧).

وتعرض كولن مثل الملايين منا لضغوط وقمع الحكومة وسياساتها المعادية للشعب داخل تركيا وخارجها، ولم يفقد الأمل ألبتة في إقناع شعبه والشعوب الأخرى بالتقدم والاضطلاع بدور صانع السلام بدلًا من نشر الكراهية والعداوة ضد الديانات الأخرى، بل حتى ضد خصومه، وأطلق مارك شيل الخبير والمحلل الغربي على كولن اسم «مهاتما غاندي تركيا»، و«الرومي العصري» الذي ألهم الأمة التركية كلها أفكار السلام والسكينة من أجل الناس جميعًا(١٥٨).

يقول كولن: "الجهاد الأصغر لا يطبق إلا لإزالة العَقبات أمام كمال الإنسان خلقيًّا وروحيًّا، وإرساء السلام والنظام في المجتمع

(157) *Farida Akhter, Depopulating Bangladesh: Essays on the Politics of Fertility, Third Edition, Dhaka: Narigrantha Prabartana, 2005, p. 67.*

(158) *Mark Scheel, «A Communitarian Imperative: Fethullah Gülen's Model of Modern Turkey,» The Fountain, Issue 61, January–February 2008.*

الإنساني"[١٥٩]، وللتسامح دور مهم في إيجاد السلام داخل المجتمع، فليكن الجهاد من أجل التسامح، يقول كولن: "فعلى المجتمع أن يتمسك بالتسامح، فإذا كان هناك شيء نعلن الجهاد من أجله فهو التسامح"[١٦٠].

الخدمة: طريقة كولن في الجهاد

لا تقتصر كتابات كولن وخطبه على مجال بعينه، فقد كتب بتوسع في التربية والعلوم والتكنولوجيا وعلم النفس والفلسفة والتاريخ والاقتصاد، وأوضح أن هدفه الأسمى من جهوده كلها هو جمع أبناء مختلف الديانات، وقد أنجز بالتعليم متعدد الثقافات وحوار الأديان عملًا فكريًّا وروحيًّا رائدًا في العقيدة الإسلامية لا نظير له في التاريخ الحديث؛ واصطلح شعبيًّا على تسمية الحركة التي تنتمي إليه باسم «الخدمة»، وخلافًا لِما يوحي به المعنى الحرفيّ للكلمة، فهي واجب مجتمعي يقوم فيه ذوو الضمير واليقظة بخدمة أبناء وطنهم، والآخرين من حولهم فالتعليم مثلًا في رأي كولن ليس فريضة دينية على الفرد والمجتمع فحسب، بل هو خدمة لا نهائية للطلاب وللمجتمع وللعالم بأسره.

أضرّت الحروب والصراعات كثيرًا بالرؤية العالمية التي ظل الإسلام ينشرها قرونًا مديدة، لكنّ الصوفية والفقهاء وعلماء العقيدة الإسلامية تمسكوا بكثير من القيم الإنسانية في الحضارة الإسلامية، ونقلوا النماذج الفكرية للبحث واكتشاف القوانين الطبيعية إلى الغرب الذين نجحوا في استغلالها بإقامة حركة تصنيع وتمدن هائلة؛ لكن فقد كثير من المسلمين القلوب والأرواح التي تكرس نفسها من أجل الإنسانية كافّة ولإخوانها في

(١٥٩) فتح الله كُولَن: الجهاد وحقيقته في الإسلام، دار النيل – القاهرة، ٢٠١١م، ص ٢١.

(160) Ünal and Williams, Advocate of Dialogue: Fethullah Gülen, p. 206.

الوطن خاصة بوقوعهم فريسة للاحتلال الأوروبي والاستغلال والهيمنة الإمبريالية، وابتلع الانحلال الأخلاقي الغربي والمادي شعوبًا إسلامية كثيرة بصورة جعلتها تفقد استقرارها السياسي وسلامتها الفكرية؛ وعجز الخطاب الإسلامي السياسي والفكري عن إحداث أي تأثير حقيقي في نتائج الدراسات الاجتماعية بوصفها مجالات تربوية في مستويات التعليم المؤسسية، فبدأت البلدان الإسلامية في أنحاء العالم بتقليد الطرق الهدامة لاكتساب الخبرة العلمية والتكنولوجيا، فدمرت النظم البيئية المحيطة بها.

> "ولدى النظر إلى أزمة الغرب المزمنة في أعقاب التحلل والفشل في إعادة الانضباط يتحتم على المسلمين المسلحين بالمنهجية المعرفية القرآنية أن يشكلوا علاقات وطيدة مع مدارس التحليل الغربي أيًّا كان اتجاهها أو توجهها، فهذه المدارس ذات الأسس الفلسفية والفكرية والثقافية تتسع يومًا بعد يوم، وهي تقدم مدخلًا صحيًّا للمنهجية المعرفية الغربية من أجل منفعة الإنسانية كلها، فأزمة الغرب أزمة تحلل عجزت معها عن الانضباط لإقصائها للدين وصدها عن سبيل (الله، الغيب، الوحي)، أمّا أزمة العالم الإسلامي فتتجلّى في المنهجية المعيبة في التعامل مع تراث شامل قائم على مسوِّغات معقولة، لكنه تراث يعاني من عقلية جامدة متحجرة في تأويله، تجعلها عاجزة عن تفهم واستيعاب المفاهيم والمنهجيات لعالم معاصر كله نشاط وحيوية"(١٦١).

ومن العبث الاعتقاد بأن بلدًا أو شعبًا تحول إلى قوة شر دون علاقة سببية في منظومة التنشئة الاجتماعية للشباب، وقد جعل النجاح العلمي

(161) *Taha Jabir Alalwani, Missing Dimensions in Contemporary Islamic Movements, Herndon, VA: The International Institute of Islamic Thought, Occasional Papers Series, No. 9, 1996.*

الغربيّ الساحق بقية العالم يذعن تلقائيًّا لـ«هيمنة البيض» على أغلبية سكان العالم، فتمدّدت جنوب إفريقيا العنصرية تحت الحكم العسكري الأبيض لِتَدْخُلَ مناطق كثيرة من العالم في المناخ نفسه، ولم تكن الهند البريطانية سوى ظاهرة غير مرئية أو أسيء فهمها لنظام الحكم نفسِه وللاستغلال الظالم المفرط في وحشية لا مكان لها في الفقه والعقيدة الإسلاميّة، ثم فشل كثير من المسلمين في التعامل مع آثار استغلال الاحتلال والحركات القومية الناتجة عنه، التي جزّأت العالم الإسلامي إلى خمس وسبعين شظية أو ما يسمى بلدانًا إسلامية مستقلة؛ وباتت هذه البلدان تعاني من نظم تعليمية عتيقة ومعدلات بطالة هائلة، وليست المشكلات الأخرى والأمراض الاجتماعية وانعكاساتها الاقتصادية سوى أعراض لخلل النظم التعليمية والتشريعية والقضائية، وما زالت الدول القومية الإسلامية عاجزة عن تحقيق أيّ تقدم في إصلاح النظم القائمة التي خلفها الاحتلال والحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا.

وكانت المصالح الحزبية الضيقة وأوساط النظم الاستبداديّة في الدول القومية الإسلامية الغارقة في الفساد وراء تورطها عدة عقود في صراعات «القوى العظمى» السياسية، وبذلك أضاعت فرصَ بناءِ نظمها القانونية والسياسية الخاصة التي تيسِّر ربط النخبة الحاكمة بالقاعدة الشعبية لبناء نظام حكم متماسك.

القوانين الميتافيزيقية للعلوم الطبيعية: أبعاد الجهاد الغائبة

تركّز المعارف الإسلاميّة القائمة على الوحي عمومًا على مبادئ العلوم الميتافيزيقية الغيبية التي لا يمكن فهمها وإدراكها كاملة بالقواعد والنظم الراسخة في الواقع أو الديناميكا الكونية، والحقّ أن مكتشفات

المعرفة العلمية بخصوصيتها واعتمادها على عجائب علمية كامنة في الحياة المادية أفادتنا جدًّا في فهم جوهر العلوم الميتافيزيقية والعِبر المستفادة من تدبير الله وتقديره للأشياء؛ والألوهية في الإسلام ليست مثلما هِيَ في الأفكار الدينية التقليدية، فلا أحد يدعي أيّ صلة ربانية مباشرة بالله سبحانه وتعالى، ولكن البشرية مثل «عوالم الوجود» الأخرى تتصل اتصالًا لا شك فيه بالذات العليا المسيطرة على الكون، وهذا الكون أو أي جزء من العالم لا يدعي ولا يمكن أن يدعي استقلاله الذاتي الكامل بتسيير أنظمته وحده.

والإنسان المخلوق المستقل الوحيد منفرد ماديًّا حقًّا، ومتصل بكلّ ما يحيط به بكل الأشكال الممكنة، إلا أن إنسانية هذه الصلة ربما هي محدودة جدًّا، أمّا الصلة بالسماء فهي متنوعة دائمًا ومستعصية على الفهم الكامل للعقل البشري، الأكثر اتصالًا بالفكر الغريزي البسيط منه بالآفاق الأوسع للحكمة والطرق الراقية في بلوغ مراتب أعلى من الحدس دون أي تحيزات أو آراء مسبقة؛ بل إن الحدس الأكثر حكمة وذكاء لا يمكن عدّه إلهامًا حتى يتم التعامل معه باعتباره الحقيقة المطلقة للظواهر والذوات الخفية أو التي لم تكتشف، فليس لأحد أن يحدد من هو أعلى منه في المعرفة، يقول كولن: ضد المعرفة الإنكار وضد العلم الجهل[١٦٢].

وفي كثير من البلدان والمجتمعات الإسلامية كثير من المفاهيم الخاطئة حول السبل التي يمكن أن يسلكها المرء في مسيرة تربوية وروحية وخبرات تبلغ به مراتب أعلى في المعرفة، وهناك رجال دين

(١٦٢) فتح الله كُولَن: التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، المجلد الثاني، «المعرفة»، نشر دار النيل التركية»، إسطنبول ٢٠١٢م، (لما يترجم عن التركية)، ص ١٤٠.

منحرفون يستغلون الخرافات في ممارسات تتعلق بالمعرفة، ويخدعون السذج لتحقيق مصالحهم الشخصية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أما الروحانيون الحقيقيون فهم يمارسون فعلًا طرقًا مختلفة من المعرفة، وهذا له أثر كبير في تنوير أي روح إنسانية أو أي مجتمع بشري، وشاعت نظرة خاطئة تجاه المعرفة بأنها طريقة غير علمية للتعرف على حقيقة العالم المادي، وأنها نقيض الحقيقة الثابتة علميًّا.

يقول كولن: «عكس العلم هو الجهل، أما عكس المعرفة فهو الرفض والإنكار»؛ وإنكار الحقيقة الأساسية في الدنيا والآخرة له عواقب وخيمة على المواطنين أفرادًا، وعلى المجتمع كله أو الأمة كلها، والمراد إنكار الحقيقة المطلقة بأن الله ﷻ المصدر الوحيد للقدرة المطلقة، وأن المخلوقات كلها -علمت أم لم تعلم- خاضعة لقواعد وضعها المصدر نفسه، الرحيم الرؤوف بالخلق جميعًا؛ وحسن العمل يؤدي دومًا إلى حسن العاقبة، أما سوء العمل فليس له سوى سوء العاقبة، وهذا الأمر كأنه حقيقة علمية يمكن إثباتها في الحياة المادية الحقيقية على مستوى الفرد والأمم المختلفة، يقول كولن:

> "فمفهوم العلم الحقيقي هو المفهوم الذي يمدنا برؤية وتحليل شامل تجاه أي نظام من أنظمة الكون وأي جزء من أجزاء الوجود، في ظل الروحانيات والغيبيات، ويربط ذلك الجزء والنظام بجميع الأشياء. الأمر هكذا لأنه يحتوي على صيغة سحرية للقدرة تمكن من التوليف بين جميع أجزاء هذا الكل.. أجل، إن الإلهام والحدس اللذين يصدران من الجزء قد لا يكونان واضحين، لكن الكل يدل إلى تمامية وكمال نفسه"(١٦٣).

(١٦٣) فتح الله كُولَن: سلسلة العصر والجيل-٧، أفق يلوح منه النور، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠١٠م، (لما يترجم عن التركية)، ص ٨١.

والواقع أنّه ليس من السهل ألبتة رعاية التوازن في الأنانية المادية أو دمجها في نظام تقبل فيه النخبة الحاكمة والفئات القوية الانقياد لقضايا الإنسانية الأكثر نبلًا وسموًّا وصونًا لمصالح القطاعات الشعبية الأكثر ضعفًا، لكن ما أسهلَ استعمالَ الدراية العلمية في أمور ضارّة، وقد ينتج عن سوء استخدام المعرفة العلمية الحديثة ألم وكرب شديد للفئات الفقيرة المعدمة المحرومة ممن يعجزون عن سداد التكلفة؛ ويتطلب إحداث أي تغيير قوي سريع في منظومة الإنتاج والتوزيع للسلع الأساسية في أيّ دولة دراسة وتفكيرًا جديدًا لحماية مصلحة الجمهور، وهنا تكون ملكة الخيال البشري أكثر قيمة وقوة للنهوض الكلي بالمجتمع، فبدونها يغدو الإنسان كالحيوان، ويحتاج كلّ إنسان مع الخيال إلى تربية ضميره على أشكال التواضع للآخرين والزهد المتزن لتغذية الجسد والروح؛ وليست المعرفة العلمية هي ما يخدم الفرد والمجتمع والدولة هنا بل فن الحياة والتمسك بالعادات السليمة وتجنب الخاطئة؛ وإذا أخفق المسلمون في تقديم تلك الخدمات للإنسانية، فسيخفقون حتمًا في شؤونهم الكبرى الدينية والدنيوية كلها، ويشير كولن هنا إلى هاتين الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥/٥٤)، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سُورَةُ الْفُرْقَانِ: ٢٥/٦٣).

وتشغل المراقبة -وهي طريقة المسلم في حياته وتفكيره- دورًا مهمًّا في العثور على المكان المناسب لحياة المسلم وعمله، وبدون هذا

المكـون الروحـي أو الغيبي في طريقة حياة المسـلم الشـخصية قد ينضم أي مسـلم إلى أي جماعة تسـتخدم العنف لإحداث تغيير جذري في بيئته الاقتصادية والسياسـية والاجتماعية، فعلى المسـلمين أن يفهموا ويغرسوا سـلوك المراقبة في حياتهم، الذي يسـاعدهم على إرساء السلام والابتكار في حياتهم كلها؛ إذ ليس من الإسلام الاعتقاد بأن علماء الدين وسطاء بين البشر وربهم، ويولي كولن هذا المفهوم اهتمامًا خاصًّا، يقول:

> "وطريـق المراقبة هو من أهم الطـرق القصيرة الموصلة إلى الحق سبحانه ودونما حاجة إلى مرشد ودليل، فهي مطعّمة بعينات الولايـة الكبـرى، وبواسـل هذا الطريـق يمكنهـم أن يتوجّهوا إلى الحق سبحانه في أي زمان ومكان، بعرضهم العجز والفقر فيُقبِلون إلى الخلوة بتذكرة الحاجة"(١٦٤).

وليـس فـي الأرض دين آخـر يتيح لك بلـوغ القبول عنـد إله الكون مباشـرة دون أي وكيـل أو وسـيط بينـك وبين الخالق الأعظـم، ورغم أن الإسـلام لا يقـر بـأي نظام كَهُنُوتـي فالاسـتعانة بموجّه أو مرشـد روحي قـد تسـاعد المبتدئيـن على عبور الصراط المسـتقيم بأمـان، وتحول دون تعرضهم لأي انحراف عن الصراط في أثناء سيرهم إلى الله.

وإحسـاس «الفناء» ومفهوم «الإنسان الكامل» بوصفهما مرحلة نفسية أو حالة ذهنية قد يودِيان ببعض المسلمين في الضلال خاصة من يفتقدون التوجيه الديني أو الروحي، ففي غياب مرشـد ديني وروحي حيّ قد يجد المرء المساعدة مباشرة من خلال الاكتشافات العلمية المتاحة للاستخدام في منافـع المجتمـع أو الدولة بشكل عام، ومن يعيشون في ظروف مؤلمة

(١٦٤) فتح الله كولن: التلال الزمردية: نحو حياة القلب والروح-١، ص ١٠٧.

على وجه الخصوص، وأشـق مهمـة هي كيفية ربط الأفـكار الميتافيزيقية والغيبيـة بالمعرفة العلمية الملموسـة ذات القيود والحدود الخاصة، يقول كولن:

> "ولنذكـر مرة أخـرى أن أهم مصـدر للعلـم والتفكير والفن بـل والفضيلـة والأخـلاق والثقافـة أيضـا هـو الغيب أو الفلسـفة الميتافيزيقيـة الحقيقيـة التي يمكـن إدراكها عبر أفـق روحي على هذا النحو. وبفضل فلسفة كهذه هي قوتها ومؤيداتها نتاج خلفيتنا الفكريـة، فـإن الأجزاء التـي تبدو فتاتا سـوف تتوحـد كلا واحدا ويستشـعر كل شـيء بشـكل مخروطي بدءا من الدائـرة اللاهوتية إلـى آخر حدود في الإمكان، وتتولـد إمكانية الانفتاح على بحور وفضـاءات أوسـع وأحب في إطار تفسـيرات جديدة جـدا. ولذا فإننا نستطيـع القول إن المجتمعات التي تفتقر إلى بعض المفاهيم الميتافيزيقية والغيبية تعاني أزمة هوية"(١٦٥).

يمكـن أن نسـتنتج أنَّ شـعوبًا إسـلاميَّة كثيرة فضلًا عـن غيرها تعاني منذ زمن أزمة هوية حادة، فهي ليسـت مشـكلة هوية خاصة بأمة أو بطائفة معينة، فالمسـلم يمكنه بسـهولة أن يقول: إنه شـيعي أو سـني، والسنيّ قد يكون حنفيًّا أو شافعيًّا أو مالكيًّا أو حنبليًّا، ولا تعني هذه الاختلافات شيئًا يذكر في الحقيقة أو في السير والسلوك، فهي في ممارسة الشعائر لا غير. نعم، هناك حتمًا شـعائر كثيرة تعد جزءًا مكملًا للحياة الروحية الإسلامية، لكن ليس لأيّ منها وحده أن يفيد تلقائيًّا فاعلَها أيًّا كان مذهبه ما لم يُعقِّبْها بمنافـع مادية ملموسة للأشخاص المعنيين ومجتمعاتهم.

(١٦٥) فتح الله كُولَن: سلسلة العصر والجيل-٧ أفق يلوح منه النور، نشر دار النيل التركية، إسطنبول ٢٠١٠م، (لما يترجم عن التركية)، ص ٨٢.

ومـا يمكننـا أن نلاحظه اليوم في أرجاء العالم هو أننا كلما صرنا أكثر ثراء دولًا أو شعوبًا زادت مظاهر معاناة الفئات الأكثر فقرًا في المجتمعات كافّة بسرعة مخيفة لا تحتمل، فالفجوة بين الأغنياء والفقراء تزداد كل يوم وكل لحظـة منذرة بعواقب خطيرة، منهـا إصابة الناس باليأس والعجز في ظـل الحرمان من الغذاء ومياه الشـرب والمـأوى الكريم والتعليم الخُلُقي السـليم والعلاج ولو لأمراض يسـيرة قابلة للعلاج، حتى إن أناسًـا طُردوا مـن أوطـان أجدادهـم إلى الأبد وكأنـه تطهير عرقيّ، وليـس لديهم مكان يلجؤون إليه بوصفهم بشـرًا لهم كرامة ويفترض أن يُعنوا بأسـرهم بنجاح ليكون لرسالتهم في الأرض معنًى بوصفهم كيانًا ماديًّا وروحيًّا متميزًا عن المخلوقات.

وأصبـح خطاب الهوية والثقافة الإسـلامية كله بأيـدٍ خاطئة أو تحت تصـرف مباشـر لجهاز دولـة معيب، وهـذه الأزمة بدأت مبكـرًا جدًّا أكثر مما نتصور، ويعد ظلم الاحتلال للمسـلمين وجهًا من وجوهها الواسـعة المعقـدة التـي تتغلغـل بـكل طاقتها في أوصـال العالم الإسـلامي، تقول كاثرين بولوك:

> ”يعود هذا إلى خطاب القرن التاسـع عشـر حول التسلسـل الهرمـي للحضـارات واعتقـاد الأوروبيين تفوقهم وضـرورة غزو الشـرق الأوسـط، وأصبح وضـع المرأة هو المقيـاس لمكانة أي حضارة في هذا التسلسـل، ووضـع الإسـلام دون رتبة المسيحية، ومسـيحية الشرق نفسها دون المسيحية اللاتينية وأعلى من إفريقيا الوثنية والشـعوب الأصلية للمسـتعمرات (أمريكا الشمالية، كندا، أسـتراليا)؛ فالمسـلمات إمـاء لأزواجهن، ولا يسـمح لهـن برؤية أحد في المنزل سـوى محارمهنّ، وفي الطرقات يغطين وجوههن

كلها، وصار مفهوم الحريم في الشرق الأوسط فكرة راسخة فعلًا لدى الخيال الجامح لقدامى المستشرقين الأوروبيين، واعتمدت قصص الحريم الخيالية هذه على عداء يكنه مسيحيو العصور الوسطى للإسلام، وأحيوه في القرن التاسع عشر، ويرون الإسلام دينًا متساهلًا في الطلاق والزواج أكثر من مرة وتعدد الزوجات، وهذا عده الأوروبيون في العصور الوسطى وفي العصر الحديث دليلًا على وضع الإسلام موضع الدين الباطل"(١٦٦).

ويعتقد بعض الناس اليوم حتى في بلدان إسلامية أنّ الإسلام دين باطل فعلًا متأثرين بعقلية المحتلّ والمعتقدات العلمانية المتطرفة، وأن المسيحية فاقت ما يسمى بالديانات الشرقية؛ ويدافع كثير من علماء المسلمين عن الإسلام بأنه ليس ديانة تقليدية كما يفهم الأوروبيون أو الغربيون ألبتة، بل هو دين بمعنى طريقة حياة وتفكير وعمل تسير وفق ما يحبه الله على أساس الوحي والاجتهادات كما يتجلى ذلك في نهج الحياة النبوي، وهو أساس عام لأي مجتمع أو دولة إن أُهمِل وقع جيل الشباب في العنف، وهو أمر لا صلة له بأي أصل من أصول الإسلام.

تفنيد كولن لفرضية صراع الحضارات:

يرى كولن أن «من يتطلعون إلى مستقبل فاجع للعالم وصراع بين الحضارات هم أفراد أو جماعات عجزت عن فرض تصورها للعالم على الناس، وتأمل في أن تؤدي الخصومات والعداوات العالمية إلى استمرار قوتها في العالم»(١٦٧).

(166) Katherine Bullock, Rethinking Muslim Women and the Veil: Challenging Historical & Modern Stereotypes, Herndon, VA: The International Institute of Islamic Thought, 2003, pp. 18–20.

(167) Davut Aydüz, quoted in Ismail Albayrak, «The Juxtaposition of Islam and Violence,» Muslim Citizens of the Globalized World, Robert A. Hunt, Yuksel A. Aslandogan (eds.), New Jersey: The Light, 2006, p. 127.

والمؤسف أن كثيرًا من تلك الجماعات المضلَّلة ساسة ورجال دولة من المستويات كافّة، وتسمي أشكال العنف والإرهاب كلها «جهادًا»، وتطلق على المسلمين المتدينين المحبين للسلام صفة «الإسلاميين» أو «الجهاديين» أو «الأصوليين»، وإنما تمكن الغرب من استخدام تلك الدعاية ضد الإسلام لأن له اليد العليا في التكنولوجيا والإعلام، ويُعَد احتكار كثير من الغربيين اليوم لاستعمال التكنولوجيا الحديثة في أغراض تدميرية أمرًا خطيرًا على وجود العالم وبقائه؛ دعك من محاربة هذا الخطر بطرق ووسائل عنيفة، وإليك كيف يحاول كولن الحدّ من هذا النزاع بالحوار، فيرفض فكرة «صراع الحضارات» المصطنعة في المؤسسات الأكاديمية والإعلامية الغربية، وإن اعتقد كثيرون أنه مفهوم يدور حول حدوث صراع أو صدام بين الحضارات في الغرب ونشأ نتيجة لأفكار دينية عن أصل ظهور البشر في الأرض، وجاء في تحليل مقارن لبولوك:

> "ليس في الإسلام أي شيء منكر أو كريه في الجسد وشهواته، فالمرأة وإن شاركت في الخطيئة لم تعد مسؤولة عن الخروج من الجنة بل حُمِّل آدم المسؤولية، فليس في الإسلام خطيئة أصلية، وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام -خلافًا للمسيحية التي تقدس مبدأ ذكورية صورة «الله الأب» ويسوع «الله الابن»، وللديانات التي تؤمن بالإلهة وتقدس مبدأ الصورة الأنثوية لله- لا يؤمن بمبدأ الذكورية أو الأنثوية للذات الإلهية، فالله في الإسلام لم يَلِد ولم يولَد"(١٦٨).

(168) Katherine Bullock, p. 162.

هذا أساس خلاف المسلمين والمسيحيين في قضايا الدين والحضارة، وانبثقت كثير من المذاهب المسيحية مثل الكنيسة التوحيدية العالمية وحركة الكويكرز أو الأصدقاء وغيرها من هذه الخلافات ذات الأصول المحدودة مع المسلمين، وكحال كثير من المسيحيين المتشددين وقع كثير من المسلمين الرجعيين أسرى لتلك المعركة الأيديولوجية التي لا تنتهي حول قضايا الحضارة، وغدا النزاع فيها بطشًا عسكريًّا من القوى العظمى على الشعوب الأصغر والأضعف، أما منهج الإسلام في السياسة والاقتصاد فهو ضد تلك الحروب الوحشية المفرطة غير المتكافئة، وهذا جعل كثيرين يطلقون على الإسلام وصف «دين التآلف والسلام والعدل»؛ وهو «دين الفطرة»(١٦٩)، وهذا المفهوم أوسع بكثير من ذاك الوصف؛ وقد أمر الله المسلمين بوضوح أن يأخذوا حذرهم في أقوالهم وأفعالهم خاصة في أمر الحرب أو العنف:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٧/١٥٦-١٥٧)

ويوم كان العالم الإسلامي الأكثر قوة وتقدمًا في العالم خاصة بين القرن الثامن وعصر النهضة قدم المسلمون طويلًا إسهامات جليلة في

(١٦٩) كما يعرف الإسلام أيضًا باسم «الدين الحنيف»، أي الأصلي أو الأساسي.

مجالات العلوم والتكنولوجيا كلها، بل تعاونوا مع خصومهم وأعدائهم في نشر بيئات تعليمية وتربوية ملائمة أخلاقيًّا لكشف ما في كتاب الكون من ألغاز وأسرار مترسخة متغلغلة، لكن النخبة الإسلامية الحاكمة -وهي تستخدم المعرفة العلمية في النهوض بالبشرية كلها وتربية الآخرين- لطالما أهملت مسؤولياتها تجاه شعبها، ولولا هذا لما أمكن بتلك السهولة استغلال ما قدمه المسلمون للغرب من معارف وخبرات ضد مصالح المسلمين أنفسهم، ويضحك كثير من الغربيين اليوم حينما يقول المسلمون: إن علماءهم وضعوا أساس العلوم الحديثة التي بني عليها عالم التكنولوجيا الحديثة.

> "إن انتصار المسلمين في غرب الصين في القرن الثامن مكنهم من الاستفادة من تكنولوجيا الصين يومئذ مثل صناعة الورق التي نقلوها إلى العالم الإسلامي كله، ومنه إلى أسبانيا [الأندلس]، ثم إلى باقي أنحاء أوروبا، وغدا هذا الاكتشاف ثورة هائلة أدت إلى انتشار المعرفة ودمقرطة عملية التعلم"(١٧٠).

واستمر تدفق انتشار المعارف من الأقطار الإسلامية إلى باقي أنحاء العالم بأشكال شتى نحو ألف سنة، حتى عصر هيمنة الاحتلال على الشعوب الإسلامية حديثًا، فجاءت آثاره البشعة على الشعوب الإسلامية عبر الطرق المدمِّرة المكتشفة حديثًا من السياسة الدولية والدبلوماسية والتكنولوجيا؛ فحاولت عدة شعوب إسلامية أن تُعيق انتشار الخبرات والتكنولوجيا العلمية الحديثة في بلادها لحمايتها من الانحلال الخلقي

(170) Dilnawaz A. Siddiqui, «Middle Eastern Origins of Modern Sciences,» Muslim Contribution to World Civilization, Herndon, VA: The International Institute of Islamic Thought, 2005, p. 60.

الغربي ومن نظم تعليمية غربية لا أخلاقية في ظل سياسات متطرفة علمانية أو معادية للدين(١٧١).

وتعرَّت المعرفة العلمية والتكنولوجية من أي التزام في القيم والأخلاق العالمية، ولم تكن القوى الإمبريالية الغربية لتشن حربين عالميتين في النصف الأول من القرن العشرين بدون الإمكانات التكنولوجية التي ملكتها، ومنذئذ استمر البطش والوحشية في العالم الثالث والدول التي يسكنها المسلمون.

في عالم العولمة اليوم سهُل الاتصال بيننا خلافًا لما مضى، فصار أفضل أمل للبشرية هو تبني فكرة إيجاد عالم من السلام والتفاهم ينبذ أي اعتداءات قائمة على القوة، ويعزز حوار الحضارات؛ ومن المأمول أن تمثل الشعوب الإسلامية كلها قوة كبرى لردع الأعمال الإرهابية بأشكالها كافة في أنحاء العالم، وأن تتقدم القوى الغربية بإيقاف كل حروب العدوان على الشعوب الصغيرة، وحينئذ سنسمع صوت المثل العليا التي ينادي بها كولن يدوّي عاليًا في كلّ ركن من أركان هذا العالم.

---

(١٧١) كتاب «انحدار الغرب» (*The Decline of the West* - أو بالألمانية: *Der Untergang des Abendlandes*) للفيلسوف الألماني أوزفالد شبنجلر، نشر الجزء الأول منه في صيف ١٩١٨م، ثم قام شبنجلر بمراجعته سنة ١٩٢٢م، ونشر الجزء الثاني منه بعنوان «نظرات إلى تاريخ العالم» (*Perspectives of World History*) سنة ١٩٢٣م، ويدعي فيه أن المسلمين مجوس، وأن الحضارات المتوسطية القديمة مثل الإغريق والرومان هي حضارات أبولونية، وأن الغربيين المعاصرين فاوستيون.

وطبقًا للنظريات الواردة في هذا الكتاب، فنحن نعيش الآن في شتاء الحضارة الفاوستية، ومن وصفه للحضارة الفاوستية أن الناس يجاهدون دائمًا من أجل ما لا يمكن تحقيقه؛ وهذا ما يجعل الإنسان الغربي شخصية فخورة، لكنها مأساوية؛ لأنه وهو يجاهد ويبتكر يعلم في قرارة نفسه أن الهدف الحقيقي لا يمكن بلوغه مطلقًا. انظر:

http://en.wikipedia.org/wiki/The-Decline-of-the-West

فتح الله كولن

قصة حياة ومسيرة فكر

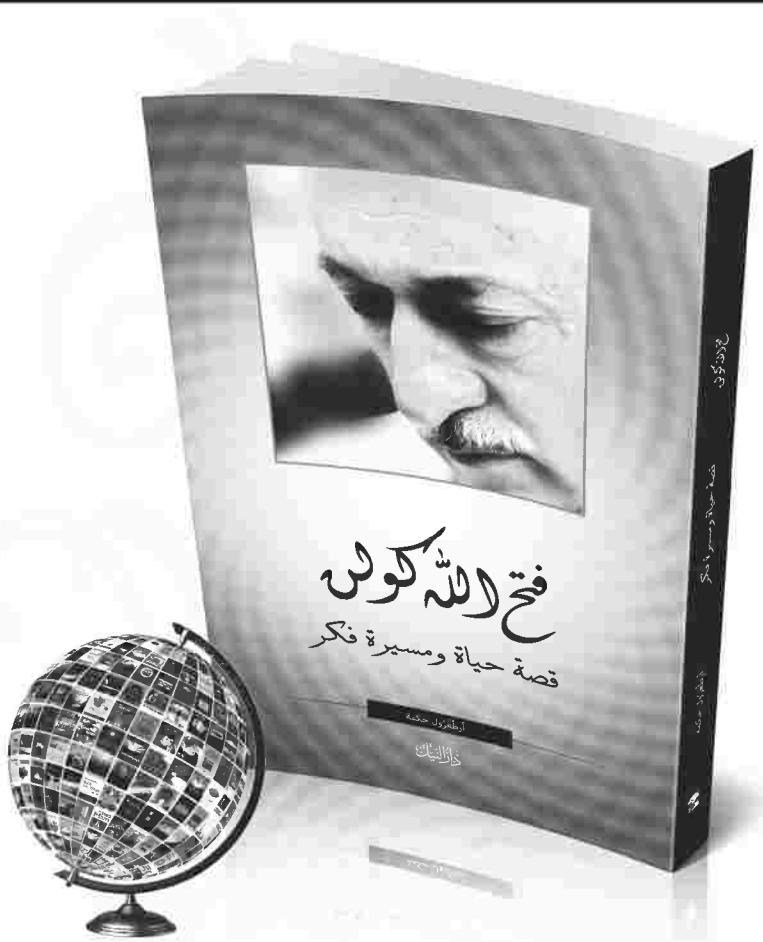

21x14 سم
160 صفحة
ISBN: 9789753155328

إن الأستاذ فتح الله كُولَن هو العقلُ المؤسِّس لحركة "الخدمة" التي تُعَدّ من العوامل الأساسيّة التي ترقى بالأمّة التركية إلى مسرح التاريخ في القريب المنظور.

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر
تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١
www.daralnile.com

حوارات مع الأستاذ فتح الله كولن

كلمات شاهدة

حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنساني

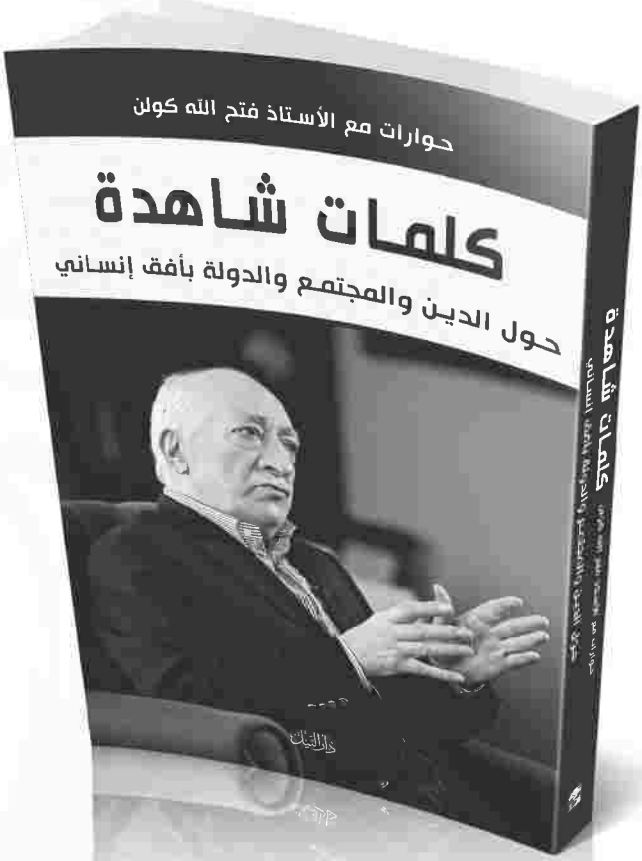

21x14 سم
144 صفحة
ISBN: 9789776183384

حواراتٍ أُجريت مِن قِبَلِ أَشهرِ الصحف المحلّيّة والعالميّة مع مهندس الفكر لحركة الخدمة فضيلة الأستاذ "فتح الله كولن" عام (٢٠١٤م)، نُسلّط من خلالها الضوء على الأحداث التي وقعت آنذاك.

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر
تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١
www.daralnile.com

موسوعة العالم والمفكر الأستاذ فتح الله كولن

من أجل فكر حضاري، إيماني التوجه، علمي النزوع، إنساني الجوهر...

مدرسة فكرية يلتقي فيها العلم والعرفان، والعقل والوجدان، والفكر والحياة العملية...

القدر في ضوء الكتاب والسنة

محمد فتح الله كولن

ISBN: 975-950-665-212
26x31.5 سم
140 صفحة

التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753153461
21x14.5 سم
244 صفحة

نحو عقيدة صحيحة

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753156592
21x14 سم
208 صفحة

الرد على شُبهات العصر

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753156165
21x14 سم
240 صفحة

النور الخالد محمد ﷺ

مفخرة الإنسانية

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753153560
17x24.5 سم
760 صفحة

الموازين أو أضواء على الطريق

محمد فتح الله كولن

ISBN: 978-975-315-067-3
21x14.5 سم
214 صفحة

روح الجهاد وحقيقته في الإسلام

محمد فتح الله كولن

ISBN: 978-975-315-131-3
21x14.5 سم
144 صفحة

ونحن نبني حضارتنا

محمد فتح الله كولن

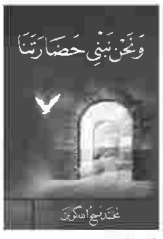

ISBN: 9789753154369
21x14.5 سم
194 صفحة

حقيقة الخلق ونظرية التطور

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753152273
21x14.5 سم
136 صفحة

ترانيم روح وأشجان قلب

محمد فتح الله كولن

ISBN: 978-975-315-163-4
21x14.5 سم
197 صفحة

طرق الارشاد في الفكر والحياة

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753153492
21x14.5 سم
183 صفحة

ونحن نقيم صرح الروح

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753153485
21x14.5 سم
144 صفحة

أضواء قرآنية في سماء الوجدان

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753153515
21x14.5 سم
356 صفحة

ألوان وظلال في مرايا الوجدان

محمد فتح الله كولن

ISBN: 9789753156103
21x14.5 سم
224 صفحة

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر

تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١

www.daralnile.com

دراسات حول فكر الأستاذ فتح الله كولن

مؤتمر دولي
مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي
ندوات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التربوية

محاورات حضارية
حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة العصر الانساني

ذي قربتي
مقالات، وخواطر، وقصص من واقع الخدمة

الزمن والوقت
نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن

الوحي والإنسان
نحو استئناف التعامل المنهاجي مع الوحي

الانبعاث الحضاري
في فكر فتح الله كولن

آفاق اليقينيات العلمية
من تجليات رؤى فتح الله كولن الاستشرافية

نداء الروح رحلة في عالم الفرسان

الضاربون في الأرض

البراديم كولن
فتح الله كولن ومشروع الخدمة
على ضوء نموذج الرشد

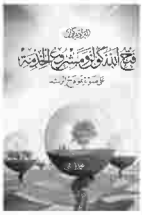

فتح الله كولن
جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية

رواية
عودة الفرسان

هندسة الحضارة
تجليات العمران في فكر فتح الله كولن

أرباب المستوى
الأكاديميا باعتبارها جماعة علمية

عبقرية فتح الله كولن
بين قوارب "الحكمة" وشواطئ "الخدمة"

رجال ولا كأي رجال

أشواق النهضة والانبعاث

فتح الله كولن "الرؤية والتأثير"
تجربة فاعلة في المجتمع المدني

فتح الله كولن
رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة

فتح الله كولن في شؤون وشجون

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر

تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١

www.daralnile.com

شد الرحال لغاية سامية

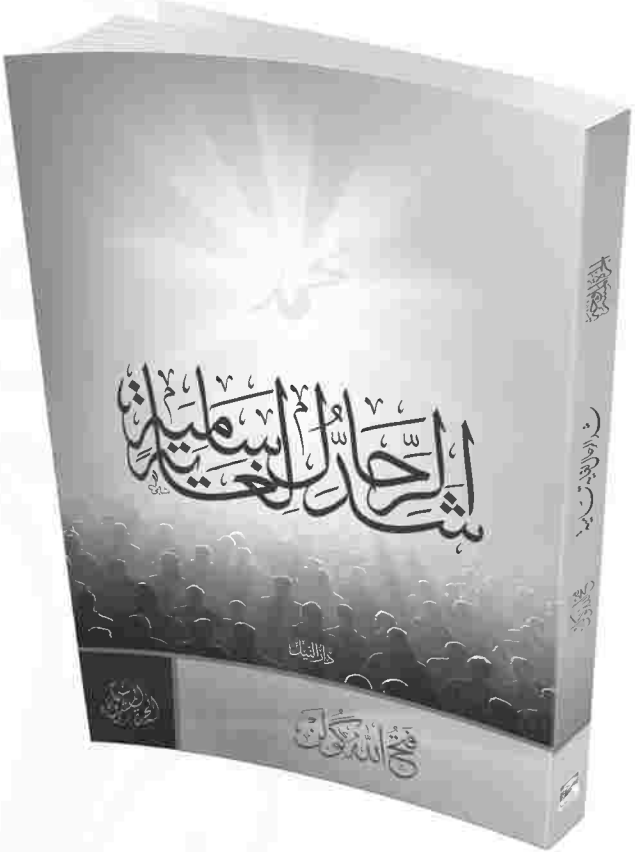

21x14 سم
285 صفحة

ISBN: 9789776183223

إن العالم اليوم يحتاج إلى أبطال ذوي غاية سامية أكثرَ من احتياجه إلى شيء آخر..
أبطالٍ يندفعون بالرحمة والرأفة فيأخذون بيد أمتهم أولًا ثم بيد الإنسانية جمعاء..
أبطالٍ عندما يدعون الله ويتضرعون إليه لا يسألون لأنفسهم شيئًا، بل للآخرين.

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر
تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١
www.daralnile.com

السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن

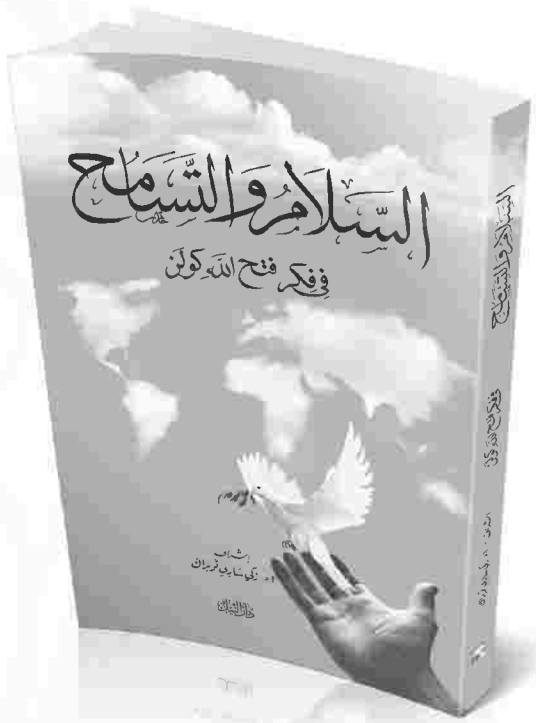

21x14.5 سم
160 صفحة

ISBN: 978-977-6183186

هذا الكتاب عبارة عن أربع دراسات لباحثين يعملون في الجامعات الغربية، ومقابلةٍ صحفية مطولة أجاب فيها الأستاذ فتح الله كُولَنْ بنفسه عن بعض الأسئلة المهمة التي طُرِحت عليه.

ويعد هذا الكتاب شهادة غربية بفكر فتح الله كولن؛ إذ البحوث الواردة فيه تمثل رؤية بعض الأساتذة الجامعيين في الغرب لجوانب من أفكار الأستاذ فتح الله كُولَنْ ونظرياته الإصلاحية، ورؤيته الإسلامية المنفتحة على الإنسانية كلها.

٢٢ج – جنوب الأكاديمية – شارع التسعين الشمالي – التجمع الخامس – القاهرة الجديدة – مصر
تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١
www.daralnile.com